الأبعاد الدلالية والبلاغية في رثائية مالك بن الريب

Semantic and rhetorical dimensions in Malik ibn al-Rayb's elegy

م.د. أنوار قتيبة يحيى

Dr. Anwar Qutaiba Yahya

الجامعة العراقية / كلية الهندسة

Aliraqia University/ College of Engineering

Email: anwar.q.yahya@aliraqia.edu.iq

Abstract:

This research aims to uncover the semantic and rhetorical aspects of the elegy of Malik ibn al-Rayb (d. 60 AH), reflecting its sincere emotions and profound impact in addressing the issue of death. The poem expresses the poet's profound reflections on his inevitable fate and embodies the elegy of the soul, which is considered one of the most sincere forms of elegy, stemming from pure emotion refined by grief and sorrow.

The poem is distinguished by its semantic richness and rhetorical depth. In his final moments, the poet explores his lost dreams and personal tragedy, contemplating the inevitability of death with a sense of regret. The research arrives at objective results that confirm the importance of these aspects in the poem, drawing on linguistic sources from ancient and modern poets, highlighting its literary value and profound emotional impact.

Keywords: semantic dimensions, elegy, Malik bin al-Rayb.\

Journal of Islamic Sciences
Vol.2 | Issue 41
ISSN: 2225-9732
December 2025

الملخص

يهدف بحثنا هذا إلى الكشف عن الجوانب الدلالية والبلاغية في رثائية مالك بن الريب (ت ٦٠ هـ)، لما تحمله من انفعالات صادقة وتأثير بالغ في تناول مسألة الموت. عبّرت القصيدة عن عمق تأملات الشاعر في مصيره المحتوم، وجسّدت رثاء النفس الذي يُعدُّ من أصدق أنواع الرثاء، إذ ينبع من عاطفة خالصة صقلها الحزن والأسى .

انمازت القصيدة بثرائها الدلالي وعمقها البلاغي، حيث استعرض الشاعر، في لحظاته الأخيرة، أحلامه الضائعة ومأساته الشخصية، متأملاً حتمية الرحيل بوجدان مفعم بالحسرة. وقد توصل البحث إلى نتائج موضوعية تؤكد أهمية هذه الجوانب في القصيدة، استناداً إلى المصادر اللغوية لدى القدماء والمحدثين، مما يبرز قيمتها الأدبية وأثرها العاطفي العميق .

الكلمات المفتاحية : الأبعاد الدلالية، رثائية، مالك بن الريب .

المقدّمة

يعدّ الرثاء أحد فنون الشعر العربي، بل أنه يتصدرها من حيث صدق التجربة، وحرارة التعبير، ودقة التصوير، فالرثاء غرض شعري عُرف عند العرب وغيرهم من الشعوب منذ الجاهلية إلى يومنا الحاضر، فقد رثى الشعراء الإنسانية بشكل عام ورثوا أنفسهم بشكل خاص كما هو الحال في رثائية مالك بن الريب، إذ رثى نفسه، فالرثاء هو البكاء على الميت والنوح عليه، أي «رثى فلان يرثيه فلاناً رثياً ومرثيه إذا أبكاه بعد موته، فإن مدحه بعد موته قيل : رثاهُ يرُثيِّهِ ترثيه ورثيت المَيّتَ وريْثاً ورثاءً ومرثاةً ومرثيةً ورثَّيْتُه «(١)، والرثاء غرض من أغراض الشعر المهمة التي أخذت حيزاً عند كل الشعراء .

فالرثاء اجود ما أبدعته قرائع العرب، وأرقى ما قالوه من الشعر؛ فأحسن القصائد ما مزجت بين المدح والتفجّع، وجمعت بين الحزن النابع من الفقد، والثناء الذي يرفع من قدر المرثي. إذ إنّ هذا المزج يخفف من وطأة الحزن، ويُظهر مكانة الميت، كأن المدح اعتذار رقيق عن شدة التفجع، لما استحقه المرثي من فضل ورفعة. فإذا صيغ هذا كله بلغة سليمة ولهجة فصيحة، خالية من التفاوت والركاكة، فقد بلغ الشعر حينها غايته العليا في التعبير البشري (٢) .

حياته :

هو ابن حوط بن قرط بن حسل المازني التميمي(٣) ويكنى أبو عُقْبة(٤) من شعراء الإسلام في أول أيام بني أمية (٥)وكان فاتكا لصّا يصيب الطريق مع شظاظ الضبي الذي يضرب به المثل، فيقال «ألصّ من شظاظ»(٦) وكان مالك بن الريب فيما ذكر من أجمل العرب جمالاً وأبينهم

(١) لسان العرب، لابن منظور:١٣٨/٥
(٢) ينظر : التعازي والمراثي، المبرد : ١٩
(٣) ينظر : الأغاني، لأبوالفرج الاصفهاني : ٢٢/ ٢٨٦ ـ ٣٠١، والمؤتلف والمختلف ،أبو الحسن البغدادي الدار قطني: ٢/ ٨٦٢
(٤) سمط اللآلي في شرح آمالي القالي، أبوعبيد عبدالله البكري الاندلسي :١/ ٤١٩
(٥) الأغاني، لأبوالفرج الاصفهاني : ٢٢/ ٢٠١
(٦) الشعر والشعراء ،ابن قتيبة :٣٤٠/١

بياناً [١]، فلما رأهُ سعيد أعجبه وقال أبو الحسن المدائني: «ويَحك يا مالك ما الذي يدعوك إلى ما يبلغني عنك من العداء وقطع الطريق قال: أصلح الله الأمير العجز عن مُكافأة الإخوان قال: فإن أغنيتك واستصحبتك أتكف عما تفعل وتتبعني قال: نعم أصلح الله الأميرّ أكف كف ما كف أحدٌ أحسن منه» [٢] أصلح الله الأمير ما جاد الزمان بكفٍّ أكرم من كفّه، ولا هبّت الهيبة من رجلٍ أشد توحشاً بسيفه منه قال محمد بن حبيب في كتابه (المحبر) «ومن فتاك العرب في الإسلام مالك بين الريب المازني «[٣] وكان مالك قد قاد عصابة لقطع الطريق بين العراق والحجاز فقد ذكر ابن قتيبة في كتابه (الشعر والشعراء): «وكان مالك من الريب فاتكا لصاً يصيب الطريق مع شظاظ الضبي الذي يضرب به المثل فيقال ألص من شظاظ»[٤] وكان جبارا في قوته وفتكه ولا شك إن هذه الشجاعة التي اشتهر بها، والتي شاركة فيها هلال من الأسعر المازني إنما تسربت إليهما من أجدادهما بني مازن بن مالك فقد كانوا ذوي قوة خارقة يتحدث بها الناس وتسير بذكرها الركبان وتتكرر على السنة الشعراء «[٥]توفي ٦٠ هـ وقد تعددت الروايات حول مسبب موته فذكر الأصفهاني «مرض مالك من الريب عند قُفول سعيد بن عثمان من خراسان في طريقه فلما اشرف على الموت تخلّف معه مرة الكاتب وآخرة من قومه من بني تميم ومات في منزله ذلك فدفناه وقال قبل موته قصيدته هذه يرثى بها نفسه «[٦] وقيل خرج إلى خراسان فغزا مع سعيد بن العاص، ومات بها «[٧] وقيل «بل طعن فاسقط بآخر رمق[٨].

ويقول ابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد «وقال مالك بن الريب يرعى نفسه ويصف قبره وكان خرج مع سعيد بن عثمان بن عفان لما ولي خراسان فلما كان ببعض الطريق أراد أن يلبس خفه فإذا بأفعى في داخله فلسعته فلما أحسّ بالموت استلقى على قفاه ثم أنشأ يقول وذكر قصيدته اليائية الطويلة» [٩] ويعد الشاعر مالك بن الريب من أبرز الشعراء الذين عبّروا عن مشاعرهم

(١) سمط اللآلي في شرح آمالي القالي، أبوعبيد عبدالله البكري الاندلسي :١/ ٤١٩
(٢) ذيل الأمالي، أبوعلي القالي : ١٣٥
(٣) المحبر، محمد بن حبيب البغدادي : ٢١٣
(٤) الشعر والشعراء ،ابن قتيبة البغدادي : ٣٤/١
(٥) موسوعة القبائل العربية، محمد سليمان الطيب : ٨/ ٢٧٨
(٦) الاعلام، لخير الدين الزركلي :٥/ ٢١٦
(٧) معجم الشعراء، للامام ابي عبدالله المرزباني : ٣٦٤
(٨) سمط اللآلي في شرح آمالي القالي، أبوعبيد عبدالله البكري الاندلسي :١/ ٤١٩
(٩) العقد الفريد ،ابن عبد ربه الاندلسي : ٣/ ٢٠٢

العميقة في اشعارهم ،ويُعد رثاؤه لنفسه واحداً من أروع قصائد الرثاء في الشعر العربي .

المصطلحات :

١- الرثاء

٢- البعد النفسي

٣- البعد الاجتماعي

المبحث الأول : دراسة البعدين النفسي والاجتماعي في رثائه لنفسه

البعد النفسي والاجتماعي لشعر مالك بن الريب:

١- البعد النفسي : عبرت القصيدة عن حالة الشاعر وجسدت المعاني الإنسانية والنفسية لديه وهو الإحساس بالموت وقرب النهاية ويظهر ذلك في حديثه عن استشعاره لحتمية الرحيل عن الدنيا ،إذ يقول(١):

الا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلةً بجنب الغَضا أُزجِي القِلاص النَّواجيا

هذا البيت يعبر عن شوقه لماضٍ كان مليئاً بالحياة والحرية مع الشعور بالأسى لقرب نهايته .

وقال أيضاً(٢):

لما تراءت عند مرو منيتي وخلَّ بها جسمي وحانت وفاتيا
وأقول لأصحابي ارفعوني فإنه يقرُّ بعيني إنْ سهيلٌ بداليا
فيا صاحَبْي رحلي دنا الموت فأنزلا برابيةٍ إنني مُقيمٌ ليالياً
أقيما على اليومَ أو بعض ليلةٍ ولا تُعجلاني قد تَبيّن شانيا
وقوما إذا ما استُلّ روحي فهنيئا لي السدر والأكفان عند فنائيا

في هذه الأبيات عبر الشاعر عن تسليم كامل بقضاء الله وقدرته، فهو يعلم أن الموت حتمي ولا مهرب منه ويطلب أن يقضي الأخيره بسلام، وكذلك طلب الشاعر من أصحابه أن يرفعوه كي يتمكن من رؤية نجم (سهيل) وتعلقه بشيء رمزي أو مألوف لديه مما يعكس رغبة الإنسان في التعلق بالأشياء التي تمنحه السكينة حتى في لحظاته الأخيرة، وطلب بقاء أصحابه معه يعكس خوفاً نفسياً من الوحدة في مواجهة الموت وهو شعور إنساني عميق يتجلى بقوة في لحظات

(١) ديوانه : ٨٨

(٢) ديوانه : ٩١-٩٢

الفراق، ووصيته بتجهيزاته الاخيره عند وفاته مثل الغسل بالكافور والسدر والتكفين تشير إلى رغبته في أن ينتهي الألم والمعاناة فهو يسعى إلى أن تكون نهايته كريمة ومشرقة .

تأسيساً على ماسبق نرى في أبياته حالة إنسانية مفعمة بالمشاعر المتناقضة: مثل الحزن والاستسلام، والحنين، والخوف من الوحدة فقد اراد الشاعر أن يجسد البعد النفسي للإنسان الذي يدرك اقتراب أجله حيث تظهر حاجته إلى الرفقه والتكريم مع تلاشي خوفه من الموت وقبوله له كجزء من دورة الحياة .

أن البعد النفسي يظهر في تأمله العميق لما بعد الموت حيث يختلط الحزن على الفراق مع القبول الهادئ بالمصير .

الحزن على ما فات : يظهر جلياً في تأمله العميق لحياته الماضية وما فاته من لذّات الدنيا وأحبّته الذين سيتركهم وراءه والقصيدة تعكس إحساساً قوياً بالفقدان والأسى على ضياع الزمن ومن ذلك قوله[١]:

غـداةَ غـدٍ يـا لـهـفَ نفسي علـى غدٍ إذا أدلـجـوا عـنّـي وأصـبـحـتُ ثـاويـاً

إذ يظهر إحساس الشاعر بالوحدة والفراغ الذي سيحل عليه وهو نوع من الحزن على ما فات ولم يعد يُرى وقال أيضاً[٢]:

لقد كـان فـي أهـل الغضا لـو دنـا الغضا مَـــزارٌ ولـكـن الـغـضـا لـيـس دانـيـا

ففي هذا البيت خص نفسه إذ أسف على انتهاء حياته التي قضاها في الشعر والترحال ويدرك أن كل ذلك سيؤول إلى النهاية .

إن قوله : (ولكن الغضا ليس دانيا) تعكس إدراكه لحتمية الواقع الذي يفرض عليه الابتعاد عن ما يحب. هذا الاعتراف يولد إحساساً بالعجز واليأس أمام الموت والقدر المحتوم.

نستنتج مما سبق، أنه جسد صراعاً داخلياً بين الأمل والرغبه في العودة إلى الماضي، وبين الإدراك المرير بأن الحياة لن تعطيه فرصة أخرى، وهذا الشعور يعمق الحزن والأسى في قصيدته ويجعلها واحدة من أروع المراثي الذاتية في الأدب العربي.

ذكر مالك بن الريب قوله[٣]:

أقـول وقـد حـالـت قـرى الـكّـرد بيننا جـزَى الله عَـمْـراً خيـرَ مـا كـانَ جاريا

(١) ديوانه : ٩٣
(٢) ديوانه :٨٨
(٣) ديوانه : ٨٩

ففي هذا البيت يشير إلى المسافة الفاصلة بينه وبين أحبته بفعل (قرى الكرد) وهي رمز للحواجز الجغرافية أو الحياتية التي حالت بينه وبين اللقاء بمن يشتاق إليهم، ثم يدعو لعمر الذي يُرجع إذ أنه أحد أحبته أو أصحابه الذين ربما قدموا له خيراً وكانوا سبباً في تخفيف معاناته .

كما جسد هذا البيت صراع مالك بن الريب مع الإحساس بالفراق والفقدان مما يزيد من شعوره بالوحدة والحزن

الوحدة والخوف من المجهول : وقد ذكر الشاعر مالك بن الريب أبياته وقال[١]:

تقول ابنتي لما رأتْ طُولَ رحْلتي سفارُك هذا تاركي لا أبا ليا
لَعمرْي لئن غالتْ خراسانُ هامتي لقَد كنتُ عن بابى خراسان نائيا

الأبيات تعكس شعور الإبنة بالوحدة بسبب غياب الأب وخوفها من المجهول الذي يواجهه في رحلته مما يجعلها تعبر عن تعلقها به ورغبته في بقائه بجانبها، فهي ترى إن رحيله يتركها من دون سنداً أو حماية وهو ما يبرز حاجتها العاطفية والإنسانية لوجود والدها بجانبها .

هذا الشعور يوحي بالاعتماد العاطفي على الأب ويشير إلى الفراغ الذي تراه في غيابه .

وكذلك الابنه تخشى على والدها من مخاطر السفر والغربة وتظهر ذلك في قولها (لعمري لئن غالت خراسان هامتي) وهنا تظهر مخاوفها من حدوث مكروه له في سفره وهو ما يزيد من قلقها وعدم اطمئنانها

٢- البعد الاجتماعي : إذ يتضح في

الحنين الارتباط بالأسرة والمكان: عبر عن الحنين إلى أهله (أمه ،وابنتاه، وخالته)وأرضه (ديار الرمل) مما يعكس تأثيره العميق بالروابط العائلية والمكانية التي ستقطع بموته، فقد قال [٢]:

وما كان عهد الرمل عندي وأهله ذَميماً ولا ودَّعْت بالرمل قاليا
فمنهن أمي وابنتاي وخالتي وباكيةٌ أُخرى تيج البواكيا

عبّر عن شوقه وحنينه لأهله وارضه، حين خصص أبياتا للتحدث عن أمه، وابنتيه، وخالته، مما يعكس ارتباطه العاطفي العميق بأسرته، كما أظهر وفاءه لديار الرحل، موضحاً أنه لم يتركها كارهاً بل محباً ومودعاً لها، ورثاؤه لم يكن مجرد حديث عن الموت بل كان استرجاعاً للحياة بكل تفاصيلها خاصة ذكريات المكان والناس.

(١) ديوانه : ٨٩
(٢) ديوانه :٩٦

الرغبة في تخليد الذكرى : يظهر في قوله[١] :

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلةً بجنب الغَضا أُزجِي القِلاص النَّواجيا

وقال أيضاً[٢] :

فياصاحَبي رحلي دنا الموتُ فانزلا برابيةٍ إنّي مقيمٌ لياليا

ففي البيت الأول أراد الشاعر التعبير عن أمنيته في العودة إلى أيامه الجميلة مع أصحابه، فيظهر هنا شوقه إلى اعادة لحظات ماضيه وبيان قوته وحريته وحياته، إذ تتضح رغبة الشاعر في تخليد تلك اللحظات التي تعكس شخصيته.

أما في البيت الثاني : فقد أراد الشاعر أن يوصي أصحابه بالنزول في مكان وفاته وكأنه يريد أن يخلد ذكراه في هذا المكان المحدد، ليظل مرجعا للذكرى والتأمل .

فيرى مالك أن تخليد الذكرى يتمثل في إعادة جمال الماضي، وارتباط الأصحاب بذكراه عاطفية، وترك بصمة واضحة مرتبطة بمكان أو موقف معين ليظل خالداً في الوجدان، وهي على تحقيق رغبته والنزول عند (رابية) فهي من أفضل الأماكن وأحسنها ؛ وذلك لأن الشاعر معتاد على الإقامة في الأماكن المرتفعة البعيدة عن المخاطر.

الاغتراب الجماعي : يشير إلى افتراقه عن مجتمعه بسبب ظروف حياته، سواء أكانت مغامراته كونه فارساً، أم شعوره بالذنب لابتعاده عن أهله، إذ يظهر في أبياته التي تحدث فيها عن تحوله من شخص يعيش ضمن مجتمعه بسلام إلى مغامر خارج عن تقاليد مجتمعه بسبب ظروف قهرية مثل الفقر، أو البحث عن العيش، ومن أبرز الأبيات التي تعكس هذا الإغتراب الجماعي قوله [٣] :

تذكرتُ من يبكي عليّ فلم أجدْ سوى السيف والرمح الرُّدينيِّ باكيا

هنا يشير الشاعر إلى شعوره بالعزلة عن مجتمعه وأهله، إذا أصبح وحيداً ولا يبكي عليه سوى أدوات الحرب، مما يعكس افتراقه عن الروابط الاجتماعية الطبيعية التي كان يجب أن تحيطه.

(١) ديوانه :٨٨

(٢) ديوانه :٩١

(٣) ديوانه :٩٠

وقال أيضاً [١] :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلةً بجنب الغَضا أُزجِي القِلاص النَّواجيا

يتمنى الشاعر العودة إلى حياة الاستقرار والعيش ضمن مجتمعه الذي أفتقده بسبب حياة الغزو والترحال التي فرضتها عليه ظروفه، أراد أن يعبر عن اغترابه الجماعي في أبيات تبرز ندمه على الابتعاد عن مجتمعه ووطنه بسبب ظروف قهرية وشعوره بالعزلة والافتراق عن حياة كانت أكثر استقراراً وانسجاماً مع قيمة الاجتماعية. إذا جمع مالك بن الريب في رثائه لنفسه بين الألم النفسي والبعد الاجتماعي مجسداً ذلك بفقدان للحياة وللأحباب معا، والموت لديه ليس مجرد نهاية وجوديه فقط بل هو قطع للعلاقات والذكريات وكل ما يربطه بالعالم .

المبحث الثاني: الدلالات الفنية والأسلوبية في قصيدته

تعد قصيدة مالك بن الريب الرثائية من أبرز القصائد في الشعر العربي التي تجمع بين المشاعر الصادقة والتعبير الفني البليغ، مما يجعلها نموذجًا فريدًا في شعر الرثاء .

وفيما يأتي أهم الدلالات الفنية والأسلوبية في القصيدة :

أولاً : الدلالات الفنية:

١- ارتباط الإنسان بالبيئة :

يبرز الشاعر البيئة الطبيعية المحيطة به، فيصف الرمال المتطايرة، والسحاب التي تسقي القبر، مما يعكس تفاعل الطبيعة مع مصائر البشر، وتجلى ذلك في قوله[٢] :

إذا مُتُّ فاعنادي القبورَ وسلِّمي على الرّمْسِ أُسقيتِ السحاب الغواديا
على جدثٍ قد جَرّت الرمحُ فوقَه تُرابًا كسَحْقِ المُرْنَبانيِّ هابيا

ففي البيت الأول، يطلب الشاعر من محبوبته أن تبقى وفيةً له حتى بعد وفاته؛ وذلك بزيارة قبره والسلام عليه، وأن تكون تربته مروية بماء المطر، فهي كناية عن الرحمة والبركة التي يتمنى أن تحل عليه فهو يعبر عن الحب العميق والوفاء حتى في مواجهة الموت .

أما في البيت الثاني، فيصف الشاعر القبر (الجدث) الذي غطته الرمال بفعل الرياح، مما أضفى على المشهد صورة شاعرية حزينة تعكس تقلبات الحياة وزوال الأثر، فقد أراد الشاعر أن

(١) ديوانه :٨٨

(٢) ديوانه :٩٤

يرسم صورة لقبر مجهول تغطيه الرمال الناعمة المتطايرة بفعل الزمن والأحداث (مثل المعارك أو الرياح)، مما يعكس فناء الحياة وزوال آثار الأحياء، ويرمز إلى الحزن والرحيل .

تبين هذه الأبيات فلسفة عميقة عن الموت والحياة، والوفاء والحزن والتفكير في المصير، كما أنها تصور الطبيعة كشاهد على زوال البشر، بأسلوب شعري يجمع بين الحزن والجمال، مما يعكس قدرة العرب على تحويل أكثر المواضيع حزنًا إلى فن راقٍ .

٢- ثنائية الموت والحياة :

بين الشاعر في قصيدته فلسفة عميقة حول الحياة والموت، إذ أظهر الصراع بين حب الشاعر للحياة وقبوله بقضاء الله، فقد قال[١] :

رهينة أحجارٍ وتُرْبٍ تضمنتْ قرارتُها منّي العِظامَ البواليا

ففي هذا البيت، عبر الشاعر عن حال الإنسان بعد موته ودفنه، حيث يصبح أسيرًا للقبر، الذي يحتوي عظامه البالية، ويُحتجز تحت الأحجار والتراب الذي يغطيه، وتصبح عظامه شاهداً صامتًا على رحيله .

أراد الشاعر أن يجسد فكرة أن الموت يُقيد الجسد، لكنه في الوقت ذاته يفتح بابًا للتأمل في مصير الإنسان وحقيقة الحياة .

٣- البعد الديني :

تظهر في الأبيات معاني إدراك الشاعر لحتمية الموت، واستعداده للقاء الله، وخشيته من الحساب، ويتجلى هذا البعد في الألفاظ التي تحمل معاني التوبة والاستغفار والخشوع، فقد قال [٢] :

فيا صاحبي رحلي دنا الموتُ فانزلا برابيةٍ إني مقيمٌ لياليا

ففي هذا البيت، يظهر استسلام الشاعر لقضاء الله، واعترافه بقرب الموت، مما يعكس وعيه العميق بالمصير المحتوم وربطه بالبعد الديني. كما يعكس البيت فلسفة التأمل في الموت، وقبوله كجزء من الحياة، مع إحساس بالسكينة ورغبة في مواجهة المصير المحتوم بهدوء .

(١) ديوانه :٩٥

(٢) ديوانه :٩١

وذكر أيضاً [١] :

لـمـا تـــراءت عـنـد مَـــرو منيتي وخــلَّ بـهـا جسـمـي وحـانـت وفاتيا

إذ عبر الشاعر عن لحظة مواجهة الموت بأسلوب شعري مؤثر، يبرز استسلامه للقضاء والقدر في مكان محدد. إذ يصف الشاعر لحظة وفاته في مدينة مرو، إذ رأى علامات الموت تلوح أمامه، وترك جسده ليفارق الحياة بعد أن حان أجله المحتوم .

ان الاستسلام والخضوع لإرادة القدر، تعكس فلسفة الشاعر حول الموت كونه أمرًا حتميًا لا مفر منه، كما يوثق مشهدًا شعريًا لقبوله النهاية المحتومة بكل سكينة .

إذ قال [٢] :

ألــم تـرنـي بـعـتُ الـضلالـة بـالـهـدى وأصبحتُ في جيش ابن عفّانَ غازيا

فقد عبر الشاعر عن تحول جذري في حياته من الضلال إلى الهداية، ويربط ذلك بمشاركته في جيش الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) رمزًا للجهاد في سبيل الله .

فقد وصف الشاعر رحلته الروحية والعلمية، إذ انتقل من حياة الضلال والابتعاد عن الله إلى حياة الهداية والجهاد في سبيل الله تحت راية الخليفة عثمان بن عفان. والبيت يعكس فخر الشاعر بهذا التحول، واعتزازه بالتزامه بالطريق الصحيح .

ثانياً : الدلالات الأسلوبية :

أولاً : استعمال الصور البلاغية :

استعمل الشاعر الصور البلاغية مثل : التشبيه والاستعارة والكناية في تصوير مشاعره ومواقفه ببراعة، إذ رثى نفسه بأسلوب فني مؤثر، ليبرز مشاعره الحزينة ويعبر عن حالته النفسية بطريقة تصويرية بليغة .

١- التشبيه

أ- تشبيه نفسه بالمقيم الذي لا يستطيع الرحيل :

فيا صاحبيَّ رحلي، دنا الموتُ فانزلا بـرابـيـةٍ إنِّـــي مُـقـيـمٌ لـيـالـيـا[٣]

(١) ديوانه : ٩١

(٢) ديوانه : ٨٨

(٣) ديوانه : ٩١

ففي هذا البيت، شبه الشاعر نفسه بالمقيم في مكان لا يستطيع مغادرته، وهو تشبيه يعكس استسلامه للموت والبقاء في ذلك المكان حتى النهاية .

ب- تشبيه أدوات الحرب بالبواكي :

تـذكّـرتُ مـن يبـكـي عـلـيَّ فـلـم أجـد سـوى السيفِ والرمحِ الرُّدينـيِّ باكيا[١]

شبه الشاعر السيف والرمح بالبواكي (الإنسان الذي يبكيه)، لكنه حذف المشبه به وأبقى على لازمة من لوازمه (البكاء)، في صورة بلاغية مؤثرة تعكس غربته وعزلته،إذ لا يجد من يرثيه سوى أدوات الحرب التي كانت رفيقة دربه .

وقد اختار الشاعر من بين أدوات الحرب السيف والرمح لرمزيتهما القوية في حياة المحارب العربي: السيف: هو «السلاح الرئيسي الذي يحرص العربي على حمله، فهو ملازمه الذي لا يفارقه ولا غنى له عنه، مما يجعله أشبه بالسلاح الشخصي له «[٢] الذي يعكس هويته وشجاعته. الرمح: هو «سلاح الطعن النافذ، الذي يشق طريقه في جسد من يُرمى به»[٣] مما يرمز إلى القوة والفتك في المعارك .

فقد ربط الشاعر بين السيف والرمح بأداة العطف "الواو"، للدلالة على اشتراكهما في الحزن والبكاء عليه، مما يعزز إحساس الوحدة والعزلة التي يشعر بها في لحظة احتضاره .

وأيضًا قال في تشبيه النساء «بالمها» و «الغزلان»من حيث الجمال والرقة، كما استعمل «حوراء» ليشبه النساء بالحور العين في جمالهن ونقائهن، فقال [٤] :

بـعـودِ الـنَّـجُـوجِ أضـــاءَ وقـودُهـا مـهـاً فـي ظِلالِ الـسِّـدرِ حُـورًا جـوازِيـا

مها: جمع مهاة، وهي تشبه النساء الجميلات ذوات العيون الواسعة الصافية [٥] . حورًا جواريا: الحور هن النساء شديدات الجمال، ذوات البشرة البيضاء والعينين الواسعتين [٦] . جوازيا: تعني أنهن يمررن بخفةٍ ورشاقة.

(١) ديوانه : ٩٠
(٢) الفاظ القتال في الشعر الجاهلي (دراسة دلالية)،ناظم خليل حسين : ٦٦
(٣) المصدر نفسه : ٦٦
(٤) ديوانه : ٩٥
(٥) ينظر :المخصص ،لابن سيده :٤٤٣/٤
(٦) ينظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي : ٢/ ١٥ ،المعجم الاشتقاقي المؤصل، محمد حسن حسن جبل : ١/ ٤٠٠

يصف الشاعر مشهدًا ساحرًا إذ أضاءت النار المشتعلة بحطب النَّجُوج المكان، وكان بالقرب منها نساء شديدات الجمال يشبهن الظباء بعيونهن الواسعة، يجلسن في ظلال أشجار السدر ويتحركن برشاقة وجاذبية، وكأنهن حوريات. وهذا الوصف يجمع بين جمال الطبيعة وسحر النساء .

وشبّه أيضًا شدة التأثير العاطفي بشيء يسبب انشقاق الأكباد، وهو تشبيه بليغ، فقال [١] :

عـرْ قَـلُـوصـي فـي الـرِّكـاب فإنـهـا سَـتُـغْـلـقُ أكـبـادًا وتُـبْـكـي بـواكِـيـا

يفخر الشاعر بناقته ويصفها بأنها متميزة وقوية، تسيربها في طرق وعرة، لكنه يعلم أنها ستترك أثرًا في النفوس، فعبارة «ستُغْلق أكبادًا» تشبيه بليغ يعبر عن تأثير الحزن الشديد .

وشبه أيضًا المكان المحبوب بالأهل والأحبة، فقال [٢] :

لقد كان في أهل الغَضَا لو دنا الغَضَا مَـــزارٌ ولـكـنّ الـغَـضَـا لـيـس دانِـيـا

شبه الشاعر المكان (أشجار الغَضَا) بالأهل والأحبة الذين يُزارون ويُشتاق إليهم، إذ إن أهله كانوا يسكنون بالقرب منه .

وقال أيضًا في التشبيه [٣] :

أقـــولُ لأصـحـابـي ارفـعـونـي فإنّـــهُ يـقـرُّ بـعَـيـنـي إن سُـهـيـلٌ بـداليـا

يقرُّ بعيني: تشبيه بليغ، إذ شبه رؤية نجم سهيل «وهو النجم الوحيد اللامع أي من ألمع النجوم» [٤] براحة العين وطمأنينة النفس .

وهذا التصوير يعكس رغبة الإنسان في التعلق بالأشياء التي تمنحه السكينة حتى في لحظاته الأخيرة .

ب- الاستعارة والكناية :

قال الشاعر[٥] :

فليت الغضا لـم يقطع الرَّكـبُ عَرْضَه وليـت الـغـضـا مـاشَـى الـركـاب لياليا

(١) ديوانه : ٩٥
(٢) ديوانه : ٨٨
(٣) ديوانه: ٩١
(٤) معجم الغني الزاهر، عبد الغني أبو العزم : ٢٤٥٤ مادة (سهل)
(٥) ديوانه:٨٨

لقد كان في أهل الغضا لو دنا الغضا مَـــزارٌ ولـكـنّ الـغـضـا لـيـس دانِـيـا

فـ(ماشي الركاب لياليا) استعارة مكنية، إذ شُبه المكان أو الأشجار بشيء يستطيع لمشي أو الحركة .

فـ(لودنا الغضا) استعاره مكنية شبه المكان المحبوب الغضا بشيء حي يكنه الاقتراب .

و(العصا ليس دانيا) استعاره مكنية تشير إلى بعد المكان المحبوب كأنه كائن حي يتعمد الابتعاد .

وقال أيضا [1] :

ألـم تـرنـي بـعـتُ الـضلالـة بـالـهُـدى وأصبحتُ في جيش ابن عفّانَ غازيا

(بعت الضلاله بالهدى) استعارة تصريحية إذ شبه الضلالة بشيء مادي يباع وشبه الهداية بشي مادي يُشترى ؛ فقد شبه (الضلالة) المستعارة له بشيء مادي يباع وحذفه وأتى من صفاته (بعت) وأثبته للمستعار له على سبيل التخييل والاستعارة المكنية .

أما بالنسبة للكناية، فنجد (لم يقطع الركب عرضه) كناية عن الفراق أو الرحيل حيث (قطع الركب) يشير إلى البعد عن المكان المحبوب (الغضا) و(ما شي الركاب لياليا) كناية عن التمني بالبقاء بالقرب من المكان المحبوب أو السير فيه ليلاً .

و(الغضا ليس دانيا) كناية عن البعد الجغرافي والمعنوي عن المكان المحبوب

و(بعث الضلالة بالهدى)كناية يعني التحول من حياة الظلال إلى حياة الهداية والاستقامة .

(في جيش ابن عفان غازيا) كناية عن المشاركة في الجهاد في سبيل الله

دعائي الهوى من أهل أودَ وصحُبتي بـذي الـطَّـبَـسَـيْـن فألـتـفـت ورائـيـا
أجـبـت الـهـوى لـمـا دعـائـي بـزفـرةٍ تـقـنـعْـتُ مـنـهـا أن الأمَ روائـيـا
أقـول وقـد حـالـت قـرى الـكـرد بيننا جزى الله عمراً خيرَ ما كـانَ جاريا [2]

فالاستعارة في هذه الأبيات (دعائي الهوى) استعارة مكنية، إذ شُبه الهوى بشخص يدعو الشاعر وينادي .

فالتفت ورائيا استعارة مكنية تشير إلى الحنين للماضي أو الإلتفات لما فات، يلجأ إلى توظيف صورة استعارية في سياق لغوي ليصور لنا حنينه وشوقه العاطفي إلى أهله وديارة فالصورة «تجسيد

(١) ديوانه:٨٨

(٢) ديوانه :٨٩

لفظي للفكر والشعور «[1] (تقنت منها أن الأم ردائيا) استعاره مكنية، حيث شبه القناع في بشيء يستخدم لإخفاء الحزن والدموع .

أما الكناية، فنلاحظها في الأبيات الآتية :

(تقنعت منها) كناية عن محاولة إخفاء المشاعر حتى لا يُلام الشاعر أو ينتقد .

(جُزى الله عمر خير ما كان جاريا) كناية عن الامتنان لعمر لما قدمه من معروف أو علاقة حسنة .

في شكله ومضمونة فأعطى معنى التعلق بأهله ووطنه من مخرج حرف (العين) الذي يخرج من «وسط الحلق «[2]

صريعٌ على أيدي الرجال بفقرة يُسوُّون لحدي حيث حُمَّ قضائيا
ولما تراءت عند مَرو منيتي وخلَّ بها جسمي وحانت وفانيا
أقول لأصحابي ارفعوني فإنه يقرُّ بعيني إن سهيلٌ باداليا
ياصاحَبْي رحلي الموت فأنزلا برابيةٍ إني مقيم لياليا[3]

فاالاستعارة واضحة في (صريع على أيدي الرجال) استعارة مكنية، إذ شُبه الموت بشيء مادي يُطيح بالشخص يسقطه أرضا .

(يسوون لحدي) استعاره مكنية ،إذ شُبه القبر بشيء مادي يتم ترتيبه وتجهيزه للميت .

(تراءت عند مرو منيتي) استعارة مكنية، إذ شُبه الموت بشيء مرئي يظهر أمام الشخص .

(خل بها جسمي) استعارة مكنية، إذ شُبه الجسد بشيء يلقى أو يترك في المكان .

(أن سهيل باداليا) استعارة مكنية، إذ شُبه ظهور نجم سهيل بشيء مادي يبعث الراحة والسكينة فهو كناية عن تعلق الشاعر بوطنه، فعبر عن إحساس الشاعر وتعظيما لهذا النجم جاء لفظ (سهيل) مُصغراً .

اما الكناية فنلاحظ في (حُم قضائيا) كناية عن الموت باعتباره قضاءً وقدراً محتوماً .

(يسوون لحدي) كناية عن تجهيز القبر للدفن.

(حانت وفاتيا) كناية عن اقتراب لحظة الموت.

(١) الرمزوالرمزية في الشعر المعاصر، د. محمد فتوح أحمد : ٢١٥

(٢) المختصر في أصوات اللغة العربية (دراسة نظرية تطبيقية)، محمد محمد حسن جبل :٨٤

(٣) ديوانه :٩١

(يقر يعيني) كناية عن الفرح والسعادة أو الاطمئنان برؤية نجم (سهيل) وهو رمز للاتصال إذ يمكنه من ان يتواصل مع أهله وذلك ؛ باستحضار الشاعر صورة تبدل حال إلى الفرح والسرور برؤيته النجم سهيل في قوله (يقر بعيني إن سهيل بداليا) والمتمثلة في المثل العربي: «إذا طلع سهيل ،رُفع كيل، ووضع كيل فبمرور الأيام تتبدل الأحوال ويرتفع ناس وينخفض آخرون، وتعلو كيل، ووضع كيل، فبمرور الايام تتبدل الأحوال ويرتفع ناسٌ وينخفض آخرون، وتعلو أمم وتهبط أخرى، ويصير الوضيع عظيما والعظيم وضيعاً، فصار مثلاً في التعبير عن تبدل الأحوال وتغيرها»[١] .

ودرّ الظباء السائحات عيشةً يخبِّرنَ أني هالكٌ مَنْ ورائيا

ودرّ كبيريّ اللذين كلاهما عَلَيَّ شفيق ناصحٌ لو نهانيا
ودرُّ الرجال الشاهدين تَفَتُّكى بأمري ألا يقصروا مِنْ وَثاقيا
ودرّ الهوى من حيث يدعو صحابتي ودرّ لجاجاتي ودرّ انتهائيا [٢]

(يخبرن إني هالك) استعاره مكنية، إذ شُبهت الظباء بكائنات واعية تستطيع الأخبار .

و (لو نهائيا) استعاره مكنية، إ ذ صور انتهاء نصيحتهم كشيء يمكن أن يحدث أو لا يحدث

(وثاقيا) استعار مكنية، إ ذ شبهت المعاناة أو القيود بشيء مادي يقيد جسده .

و(يدر الهوى)استعاره مكنية، إذ شُبه الهوى بشخص يدعو الآخرين .

و(در انتهائيا) استعاره مكنية ،إ ذ صور انتهاء حياته بشيء يتطلب الدعاء والترك .

أما الكنانية (الضباء السائحات) كناية عن الطبيعة أو النساء اللاتي يراقبن الأحداث أو ينقلن الأخبار مايشير إلى تصوير المكان والزمان من منظور شاعري .

(هالك من ورائيا) كناية عن اقتراب الموت أو إدراكه المحتوم

(كبير الذين كلاهما) كناية عن الأب والأم أو القادة الكبار في حياة الشاعر، إذ يشير إلى مكانتهم وقدرتهم على النصح والتوجيه .

(على شفيق ناصح) كناية عن رعاية وحب من يعينه .

(الشاهدين تفتكي بأمري) كناية عن الرجال الذين يعرفون تفاصيل حالته او يشاركون في مصيره.

(١) معجم الأمثال العربية، أبو الفضل الميداني : ١٧

(٢) ديوانه : ٩٠

(يقصروا من وثاقيا) كناية عن الفرج أو التخفيف من معاناته .

(يدر الهوى من حيث يدعو صحابتي) كناية عن تاثير الحب ودعوته وله ولأصحابه، ما يشير إلى ارتباطه العاطفي العميق، وعن طريق الخيال يصوغ الشاعر الاستعارات والكنايات «فهو إذا أراد الكناية لجأ إلى فكرةٍ وتدبر الموقف، وملائماً لمعناه الذي يريد أن يصوره «[١]

و(در لجاجاتي ودر انتهائيا) كناية عن التوقف عن العناد أو الجدال الذي ربما أدى إلى عواقب وخيمة .

(الظباء السائحات) (عن الطبيعة أو النساء) كبيري اللذين كلاهما (عن الأبوين أو الناصحين الشاهدين تفتكي بأمري (عن من يقرر مصيره) يدر الهوى (عن تأثير الحب) ودر لجاجاتي (عن ترك العناد)

فيا صاحَبْي رحلى دنا الموت فانزلا برابيةٍ إني مُقيمٌ لياليا [٢]

هنا استعاره الرحيل للتعبير عن الموت ف(دنا الموت) تُصور الموت كأنه رحلة قريبة لا مفر منها، مما يعبر عن اقتراب أجله بأسلوب مجازي ؛ لانه شبه الموت بشيء مادي يقترب من الشخص فهذه استعارة مكنية وأما استعاره الليل للتعبير عن ظلام الموت (برابيةٍ أي مقيم لياليا) في هذا البيت الليل يستخدم استعاره للموت وظلامه، وهو تعبير مجازي يعكس الوحدة والعزل التي يشعر بها الشاعر في لحظاته الأخيرة.

وأبصرت نار المازنيات مَوْهِناً بعلياءَ يُثنى دونها الطرفُ دانيا
بِعود ألنُجوحٍ أضاءَ وُقودُها مهاً في ظِلال السِّدْرِ حوراً جوازيا [٣]

هنا استعاره مكنية إذ يشبه النار بأنها شيء يرى في الليل موهناً (ضعف الضوء) دون التصريح بماهية الشيء . وأيضا تصوير لعلياء (مكان مرتفع) بحيث لا يستطيع الطرف (النظر) بلوغه بسهولة وهذا تصوير للمكانة العالية .

كذلك في كلمة (يثنى الطرف) استعاره مكنية إذ شبه الطرف بشيء قابل للثني، ما يضيف أبعاداً حسية للصورة .

. أما الكناية في ظلال السدر كناية عن المكان الهادىء أو الظليل الذي يجمع بين الطبيعة والجمال

(١) الكناية في البلاغة العربية، بشير كحيل : ٢٦٣
(٢) ديوانه :٩٥
(٣) ديوانه :٩٣

ولــن يــعــدم أَلــوالــون بــثــاً يصيبهم ولـن يَـعْـدَمَ الـميراث منّى الـمواليا [1]

ولن يعدم ألوالون بثاً يصيبهم استعارة مكنية إذ شُبه البث (الحزن والشكوى) بشيء مادي يصيب الإنسان كالمرض أو السهم تشبيه البث بشيء مادي يصيب الإنسان وتشبيه الميراث بكائن حي يحمل الأمنيات وينقلها للآخرين(ولن يعدم الميراث في المواليا) استعاره مكنية إذ شبه الميراث بكائن حي يحمل الأمنيات (منى) وينقلها للآخرين. (ولن يعدم الوالون بثاً يصيبهم)هنا كناية عن الحزن والهم فالبثّ يُستخدم كناية عن الشكوى الناتجة عن الحزن الشديد . الوالون : كناية عن الأشخاص الذين يشعرون بالفقد والأسى ولن يعدم الميراث من المواليا: كناية عن استمرار الأثر أو التأثير حيث يشير إلى أن الميراث (أي الإرث المعنوي أو المادي) لا يخلو منى الأمنيات والطموحات مما يدل على استمرارية العطاء والانتقال بين الأجيال، فالحزن في بثاً يصيبهم استمرارية الأثر في الميراث منى المواليا .

فـمـنـهُـنّ أمـــي وابـنـتـاي وخـالـتـي وبـاكـيـةٌ أُخـرى تـهـيـج الـبـواكـيـا [2]

(دميا أخرى تهيج البواكيا) استعاره مكنية إذ شبهت داميا (المرأة التي تحرك الأحزان) بشيء قادر على إثارة البكاء وكأنها بيدها أداة تهيج أو تحرك للألم والحزن . (تهيج البواكيا) استعار مكينة أخرى، حيث صورت الأحزان والأحاسيس وكأنها نار تُهيج البكاء وتحركه، صورت الأحزان وكأنها تحرك البكاء .

(ودامیا أخرى تهيج البواكيا) كناية عن المرأة التي تحمل ذكريات أو مواقف حزينة تجعل الآخرين يبكون وهو تعبير غير مباشر عن التأثر العاطفي العميق لأن مصابها فادحاً، وفي إيثار (البواكيا) على وزن جمع الكثرة، دلالة على كثرة البكاء، والصورة الكنائية هي «لون من ألوان المجاز ؛ لكونها تعبيراً عن معنى بطريق غير مباشر «[3] عن طريق الإيماء والتلويح لا الكشف والتصريح .

استعمل مالك بن الريب التشبية والاستعارة والكناية بمهارة لإبراز مشاعره المتداخلة من حزن واغتراب وخوف من الموت . والصور البلاغية أضافت عمقاً فنياً إلى قصيدته، مما جعلها مؤثرة وقادرة على استحضار حالة الشاعر النفسية في ذهن القارئ.

(١) ديوانه :٩٦
(٢) ديوانه :٩٦
(٣) الكناية في البلاغة العربية ،بشير كحيل :٢٦٢

ثانياً - التكرار ظاهرة من الظواهر الأسلوبية، فقد اهتم بها علماء اللغة والبلاغة وبحثوا له عن تعليل وتفسير، وقد تكون وظيفة التكرار في الشعر والنثر عامل من عوامل الجمال وحسن الإيقاع . يعد التكرار خاصية لغوية تنتشر في النصوص الشعرية والنثرية على حد السواء، ولفظة التكرار مصطلحا عربيا حاضراً في المعاجم فجاء عندهم من الكّر بمعنى الرجوع، وهو «الترداد والترجيع من كَرَّ يَكِرُّ، والتكرار الرجوع على الشيء، ومنه كررّ الشيء، وأعادة مرة بعد أخرى، يقال كرَّرت عليه الحديث إذ رددته عليه «[١]وعرفه السيوطي : «إن التكرار هو والتجديد في اللفظ الأول، ويفيد ضربا من التأكيد «[٢] . أي أن الغرض من التكرار هو تأكيد المعنى الذي يراد نقله إلى المتلقى [٣] وهنا يتماشى مع الطابع الرثائي للقصيدة ،إذ يُستخدم لتأكيد المشاعر وتضخيم الأثر النفسي لدى المتلقى، و أبرز مظاهر التكرار في القصيدة :

١- تكرار العبارة والكلمات المفتاحية : يتكرر استعمال كلمات مثل (وداعاً، يا صاحبي، ودّر، وأقول) مما يعكس ألمه وشوقه لحياة رحلت، التكرار هنا ليس مجرد زخرف بل هو وسيلة لإبراز الانفعالات النفسية .

٢- تكرار الحرف : يعتني الشاعر بحرف بعينه ويعمد إلى تكراره في البيت الواحد أو في أبيات عدة فيأتي الحرف الواحد مكرراً، وتكرار الحرف ذات أبعاد تعكس نفسيته وعواطفه، مثل الحروف (قد، ليت، إذ، لا، فيا).

٣-تكرار الصور الحسية والمعنوية : مالك بن الريب يكرر استحضار صور الموت والوداع والحزن، مثلا الحديث المتكرر عن قبره وعن مشاعر الوحدة والخوف عند الاختصاركقوله [٤] :

الا ليت شعري هل أبيتنّ ليلةً بجنب الغَضا ازجِي القِلاص النَّواجيا

وكذلك قوله [٥] :

غداةَ غدٍ يا لهف نفسي على غدٍ إذا أدلجوا عنّي وأصبحتُ ثاوياً

٤- تكرار فكرة الوداع والأثر الباقي : الشاعر يركز مراراً على فكرة انه يترك اهله وأصدقاءه، مما يعكس شعور الحزن العميق .

(١) لسان العرب، لابن منظور : ٦٤/١٢ مادة (كرر)
(٢) القاموس المحيط، الفيروزآبادي ١٣٠/٢-١٣١ مادة (كرر)
(٣) مجلةعلوم اللغة وآدابها، العدد الرابع ص ٧
(٤) ديوانه :٨٨
(٥) ديوانه :٩٣

أقــول لأصـحـابـي ارفـعـونـي فإنـنـي يقـرّ بعيـني أن تُـسيـروا الـقـواقيـا (١)

٥- تكرار الخطاب للأصدقاء والأصحاب : يكرر نداءه لأصدقائه الذين يودعهم ما يبرز تعلقه بهم وأثر فقدانهم عليه:

فيا صاحبي رحلي دنا الـموتُ فانزلا بـرابـيـةٍ إنـــي مُـقـيـم لـيـالـيـا(٢)

وذكر أيضاً (٣) :

ولا تنْسيا عهدي خَلِيليَّ بعدما تقطع أوصالي وتبلى عظاميا

. يتضح لنا إن الشاعر ابرز البناء الشعري ويعكس الألم والحنين والحسرة التي يعيشها الشاعر

ومن الواضح أن اهتمام مالك بن الريب بظاهر التكرار في شعره هو لازمة لغويّة مميزة امتاز بها شعره، لأن التكرار يؤثر في نفس المتلقي لان «يشكل النسبة الدلالية للقصيدة من خلال النظم المختلفة، المتبادلة والتي يمكن عليها التكرار فهو يأتي على مستويات عديدة لا يمكن حصرها حصراً كاملاً «(٤).

ثالثاً- الإيقاع الموسيقي في قصيدة مالك بن الريب الرثائية ينبع من منابع عدة شعرية تتضافر لتمنح النص جمالية فنية تعكس الأحاسيس العميقة للشاعر وأبرز هذه العناصر :

أ- البحر الشعري : نظمت القصيدة على البحر الطويل الذي يتميز بطوله وإيقاعه العميق والمسترسل، مما يناسب مضمون القصيدة الرثائي والمشاعر الحزينة التي تحملها ولذلك عرفه «الطويل سمي طويلاً لمعنيين أحدهما أنه أطول الشعر لأنه ليس في الشعر ما يبلغ عدد حروف ثمانية واربعون حرفاً غيره . والثاني أن الطويل يقع في اوائل أبياته الأوتاد والأسباب فسمي بذلك طويلاً»(٥) مثل :

لقد كان في أهل الغضى لو دنا الغضا مَـــزارٌ ولـكـنّ الـغـضـا لـيـس دانـيـا

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن (٦) **فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن**

ب - القافية الموحدة : القافية في القصيدة هي حرف الألف المقيدة (يا) مما يخلق تكرار موسيقياً يوحّد الأبيات ويُبرز الانسجام الإيقاعي واستخدام القافية الممدودة بالألف يمنح

(١) ديوانه : ٩١

(٢) ديوانه : ٩١

(٣) ديوانه :٩٣

(٤) مجلة علوم اللغة وآدابها، العدد الرابع ص ٧

(٥) الورد الصافي من على العروض والقوافي، محمد حسن إبراهيم : ٤٣

(٦) ديوانه : ٨٨

القصيدة لحناً يمتزج بالحزن والشجن مثل (باكية، نواحيا، قاصيا) فالياء هي الروي، الألف بعد الياء : وصل، والألف الذي قبل حرف الكاف، الصاد : ألف تأسيس الكاف والصاد : دخيل أما من حيث عدد الحركات والساكنين في آخر البيت فهي من المتدارك : «هو ما كان بين ساكنيها الأخرين حرفان متحركان «[١] .

اما من حيث عدد الحركات فهي من المتدارك، والقافية لها دلالات عديدة تنماز بها منها الهجر والحزن والقوه والوصف وغيرها إذ ساعدت في بناء القصيدة ومعناها .

ج ـ التكرار اللفظي والصوتي :

كرر الشاعر بعض الكلمات والصور التي تحمل وقعاً موسيقياً مؤثراً كقوله : «طورا تراني، ليت شعري، الا ليت شعري، يا صاحبيَّ، لعلّ الليالي «والألفاظ الواردة في هذا النص الشعري إنما تؤكد دلالتها وتعمق آثرها في ذات المتلقى فالتكرار يُعزز إيقاع الداخلي وتمنح القصيدة تناغماً شعوريا أي أن «تكرار الكلمات يمنح النص امتدادا وتناميا في الصّور والأحداث لذلك يعدّ نقطة ارتكاز أساسية لتوالد الصّور والأحداث وتنامي حركة النص «[٢] ذلك أن الكلمات تتألف من أصواتٍ وطاقات تعبيرية .

د - الإيقاع الداخلي (الجرس الصوتي) في القصيدة يتجلى في اعتماد الشاعر على حروف ذات أصوات رخيمة وممدودة، مثل الواو والألف، مما يمنح النص جرسًا موسيقيًا عذبًا، ك ما في قوله [٣]:

أقــول لأصـحـابـي: ارفـعـونـي فإنـي يـقـرّ بـعـيـنـي إنْ سُـهـيـلٌ بـدا ليا

ويتجلى الإيقاع الموسيقي في قصيدة مالك بن الريب بالبحر الطويل، والقافية الموحدة، والتكرار الصوتي، والتوازن في التراكيب، مما يضفي على القصيدة طابعًا موسيقيًا متناغمًا يعكس الشجن العميق والتأمل في الموت والوداع .

فالإيقاع الموسيقي للقصيدة يتناغم مع مضمونها الذي يمزج بين مشاعر الحزن والتأمل، حيث يُسهم البحر الطويل والقافية الحزينة في تجسيد مشاعر الوداع والفقد .

(١) أحمد البناء العروضي للقصيدة العربية، محمد حماسة عبداللطيف : ٢٢٥
(٢) حركة الإيقاع في الشعر العربي المعاصر، حسن الغرفي : ٨٤
(٣) ديوانه : ٩١

الخاتمة

تناول هذا البحث الابعاد الدلالية والبلاغية في شعر مالك بن الريب، وتوصل إلى نتائج عدة، أهمها :

١- إن الرثاء في شعر مالك بن الريب يعد امتدادًا للموروث الشعري العربي عبر عصوره المختلفة، ولا يختلف عنه من حيث اللغة أو الدلالة، بل يجسد استمرارية لهذا التقليد الشعري العريق .

٢-وظّـف الشاعر الأساليب البلاغية بمهارة في عرض رثائه، مما زاد من تأثيره العاطفي والبلاغي .

٣-تميز الشعر العربي بوجود قصائد مستقلة في الرثاء، عنيت بتصوير مشاعر الحزن والفقد، وتُعدُّ قصيدة مالك بن الريب من أشهرها .

٤-لم يكن الرثاء في شعر مالك بن الريب على صورة واحدة، بل جاء في صور متعددة، منها الحنين، ورثاء الغربة، ورثاء النفس، والتأمل في الموت، وتصوير مشاعر الفقد والوداع .

٥-جاءت إيقاعات القصيدة متوافقة مع غرض الرثاء، حيث استعمل الشاعر البحور ذات التفعيلات الطويلة، ولا سيما البحر الطويل، الذي يُعدُّ من أكثر البحور مناسبةً لهذا الغرض .

٦-تنماز القصيدة بصدق العاطفة وعمق التأمل، وهذان العنصران أكسباها مكانة مميزة بين قصائد الرثاء.

٧-تحققت الوحدة الفنية والأسلوبية في الرثاء، رغم تداخل الموضوعات الشعرية.

٨-من أبرز سمات الرثاء في هذه القصيدة أنه يُذيب التجربة الشعرية في بوتقة الحكمة، إذ يعكس رؤية الشاعر للموت والحياة .

٩-تنوّع التكرار في شعر مالك بن الريب بتعدد الأغراض والغايات، وفقًا لاختلاف المواقف التعبيرية والسياقات الدلالية .

المصادر والمراجع

١- احمد البناء العروضي للقصيدة العربية، محمد حماسة عبداللطيف، ط١، دار الشروق، بيروت ،١٩٩٩ م.

٢- الاعلام، خير الدين الزركلي، دار الملايين، بيروت، ١٤٢٢هـ.

٣- الأغاني، لأبوالفرج الاصفهاني، تحقيق :د. إحسان عباس ود.إبراهيم السعافين، دار صادر، بيروت، ط٣ ١٤٢٩هـ -٢٠٠٨م.

٤- التعازي والمراثي، المبرد، وضع حواشيه : خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٦ م.

٥- حركة الإيقاع في الشعر العربي المعاصر، حسن الغرفي، المغرب، إفريقيا الشرق، ٢٠٠١ م.

٦- ديوان مالك بن الريب حياته وشعره، تحقيق : د. نوري حمودي القيسي، مستل من مجلة معهد المخطوطات العربية، مج ١٥، جـ١.

٧- ذيل الاماني، أبو علي القالي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، نسخة مصورة.

٨- الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، د. محمد فتوح أحمد، دار المعارف، ط٣، ١٩٨٤ م.

٩- سمط اللآلي في شرح شواهد شرح الالفية، أبو عبيد عبدالله البكري الاندلسي، تحقيق : عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان (د.ط) (د. ت).

١٠- الشعر والشعراء، ابن قتيبة البغدادي، دار الحديث القاهرة، ١٤٢٣هـ.

١١- العقد الفريد، ابن عبد ربه الاندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

١٢- الفاظ القتال في الشعر الجاهلي (دراسة دلالية)، ناظم خليل حسين اللوقة، رسالة ماجستير، جامعة الازهر، غزة فلسطين، ١٤٣٢ هـ - ٢٠٠١ م.

١٣- القاموس المحيط، الفيروزآبادي، تحقيق : محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٨، ٢٠٠٥ م.

١٤- لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١هـ) صححه واعتنى به امين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط٣ ،١٩٩٩ م.

١٥- الكناية في البلاغة العربية، بشير كُحيل، مكتبة الآداب القاهرة، ط١، ٢٠٠٤ م.
١٦- مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، العدد الرابع جامعة الوادي، مارس ٢٠١٢ م.
١٧- المحبر، محمد حبيب البغدادي، دائرة المعارف العثمانية حيدرأباد، ١٣٦١ هـ.
١٨- المختصر في أصوات اللغةا لعربية (دراسة نظرية تطبيقية)، محمد حمد حسن جبل، مكتبة الاداب، ط ٤، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
١٩- المخصص لابن سيده، تحقيق : خليل إبراهيم جفال، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
٢٠- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصل ببيان العلاقات بين الفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)، د. محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب القاهرة، ط ١، ٢٠١٠ م.
٢١- معجم الأمثال العربية، أبو الفضل الميداني، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، (د. ت).
٢٢- معجم الشعراء، للإمام ابي عبدالله المرزباني، تصحيح وتعليق أ.د.ف . كونكو مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط ٢، ١٤٢٠ هـ - ١٩٨٢ م.
٢٣- معجم الغني الزاهر، أبو العزم عبدالغني، دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠١٣م.
٢٤- المؤتلف والمختلف، أبو الحسن البغدادي الدار قطني، تحقيق موفق بن عبدالله بن عبدالقادر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٨٦ م.
٢٥- موسوعة القبائل العربية، محمد سليمان الطيب، دار الفكر، ط ٣، ١٤٢١هـ - ١٤٣١هـ.
٢٦- الورد الصافي من على العروض والقوافي، محمد حسن إبراهيم، الدار الفنية للنشر والتوزيع، (د. ت)، ١٩٨٨ م.